اللقاء الفريد
بين
علماء العرب
و
علماء الغرب

أحمد بن ماجد
يقابل
فاسكوداجاما
فى الطريق إلى الهند

تأليف : عبد التواب يوسف

رسوم : فريدة عويس

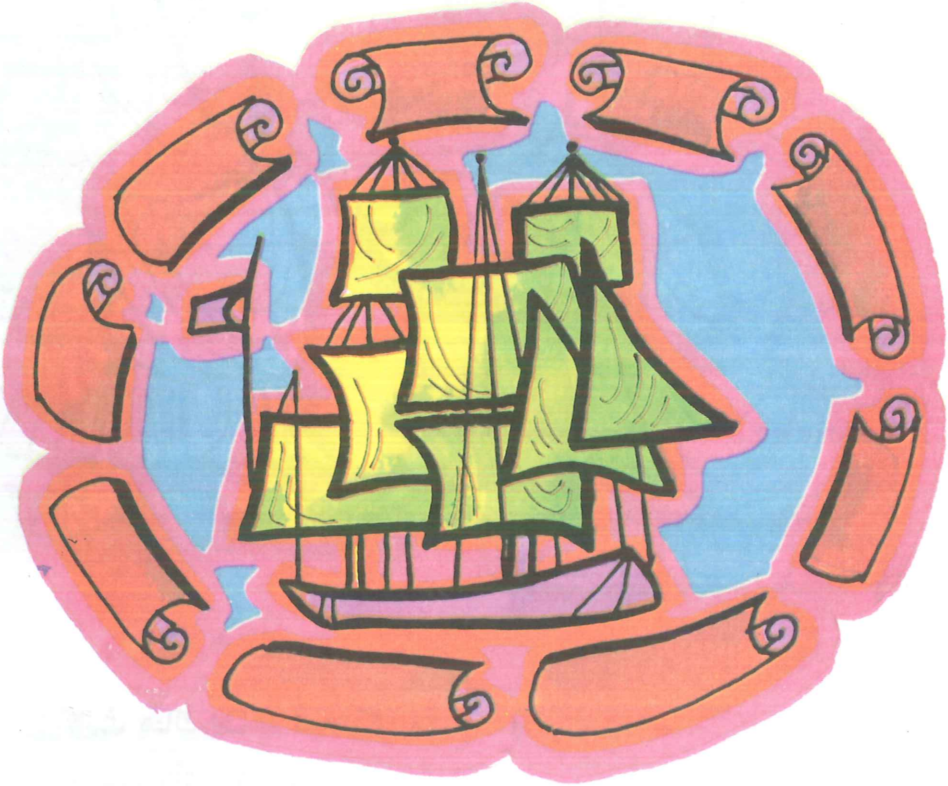


الدار المصرية اللبنانية

اللقاء الفريد
بين
علماء العرب
و
علماء الغرب

أحمد بن ماجد
يقابل
فاسكو دا جاما

في الطريق إلى الهند



تاليف : عبد التواب يوسف

رسوم : فريدة عويس

الناشر
الدار المصرية اللبنانية



كانَتْ هناك إشَاعَةٌ تملأُ كل الدُّنيا . وتقول ..

- إن هذا اللِّقاء قد حـدث ..

ولمْ يكن هناك ما يُثبت ذلك ، إلى أَن كشف الدكتور أَنور عبد العليم عن وثائق تُؤَكِّده .. ومن واقع ما نشره نحكى لكم قِصَّة هذا اللقاء الذى تمَّ بين اثنين من البَحَّارَة :

- البَحَّار العربى العظيم ابن ماجِد ..
- والبُرتغالى الشَّهِير فاسكُو دَاجَامَا ..



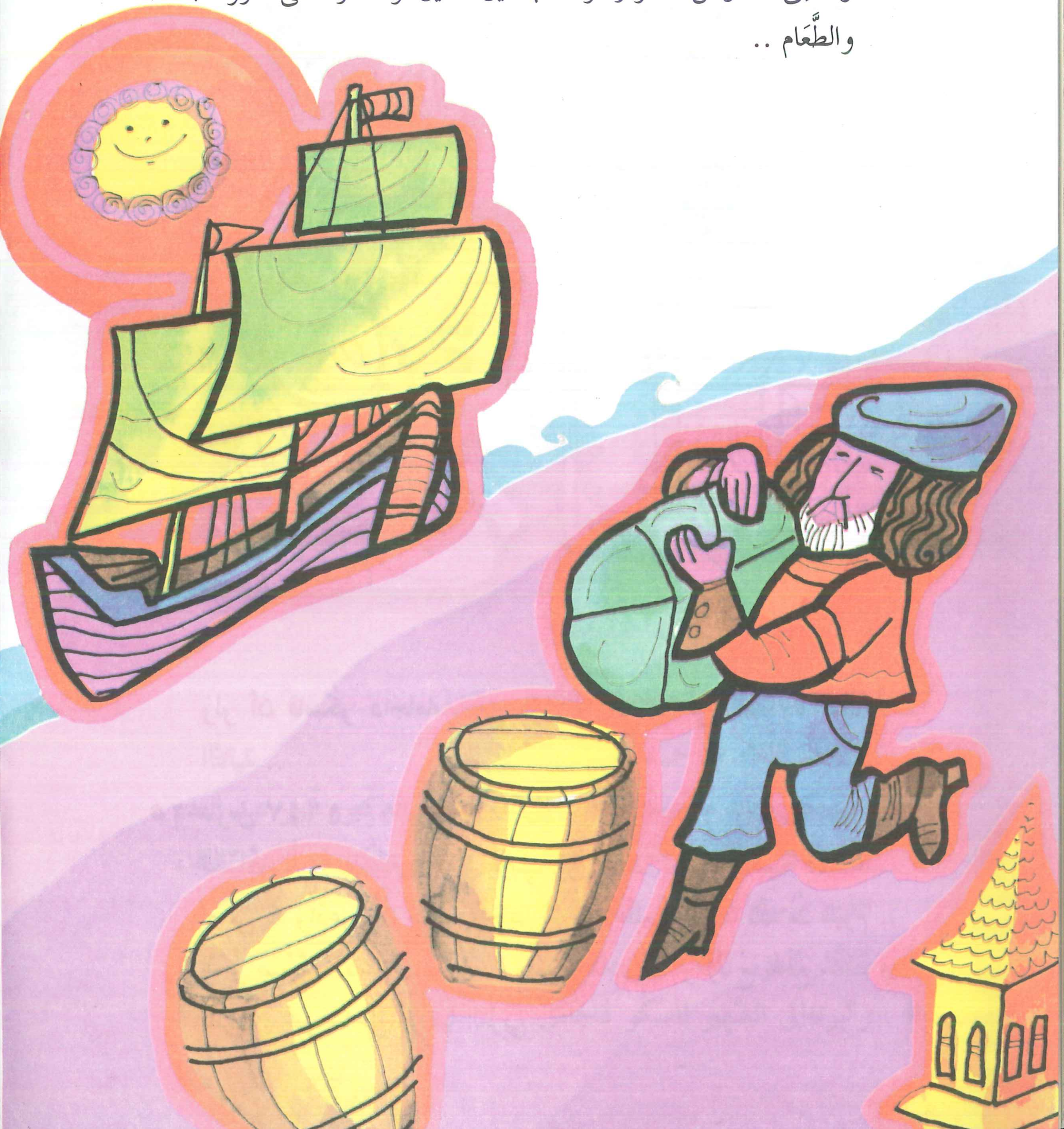
ولو أن فاسكُو داجاما سَجَّل يوميَّاته لكانت على الصُّورة الصادقة التَّالية ..

٢٥ مارس ١٦٤٧ :

قضَيْتُ اللَّيلَةَ الماضِيَة فى دَيْرٍ قريبٍ من الميناء : ميناء لِشْبُونة .. ظللتُ أصلِّى لله وأدْعوه أن تنجح رحلتنا .. وقد أَقلعتْ سفنُنا الثّلاثُ اليوم .. الجَوُّ صَحْوٌ ، لأَننا فى الرَّبيع .. والموجُ هادِئٌ ، والرِّياحُ تَدْفَعُ سفنَنَا فى لُطْفٍ ، نحو ساحِل أفريقيا الغَرْبِيِّ ..

١٥ أبريــل :

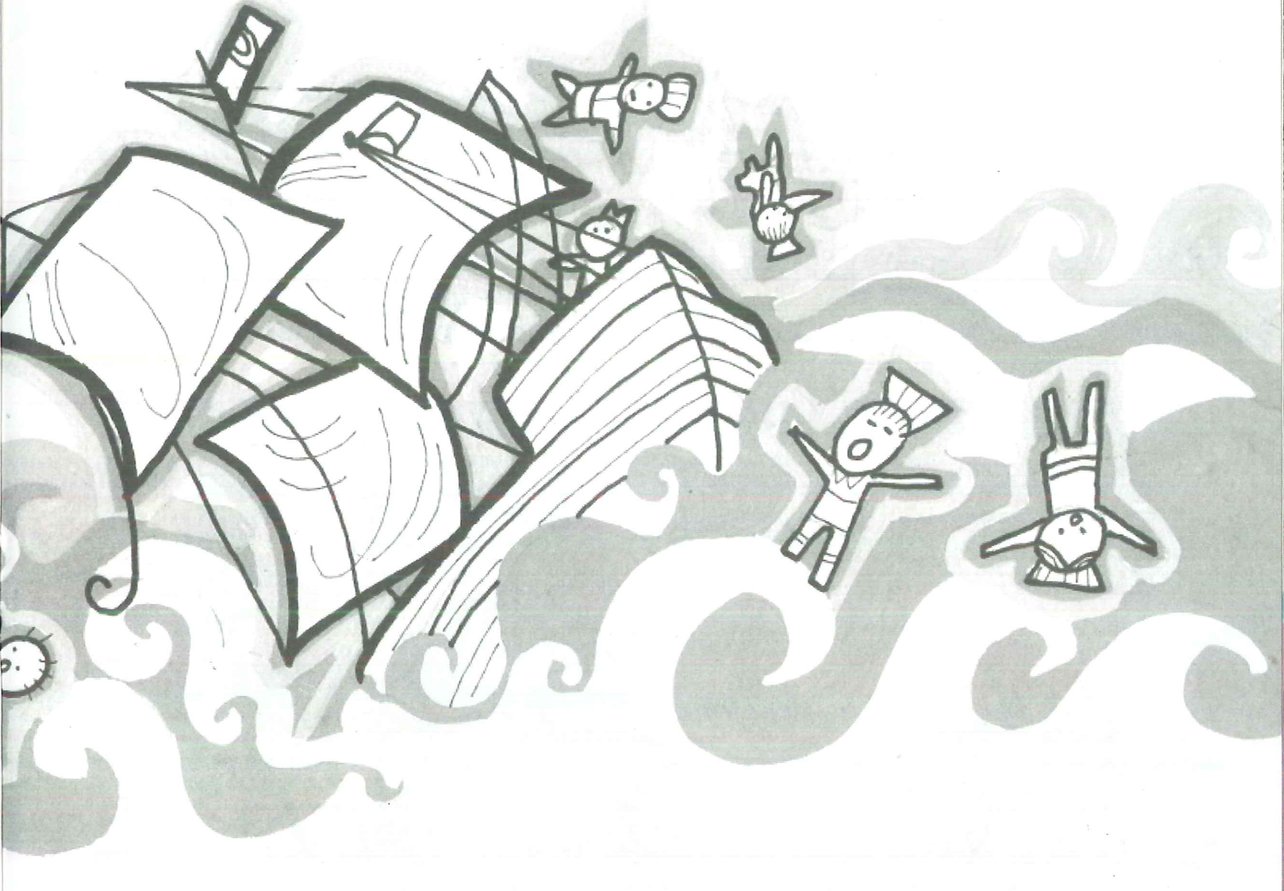
وصَلْنَا إلى السَّاحِلِ الأفريقىِّ ، ونسير الآن بجانبه .. مررنا قُرب مضيق جبل طَارِق ، وسرنا بجانب شاطىء المَغْرِبِ العربى، ولم نُحاول قطُّ أَن نبتَعِد عن البرِّ ، خوفاً من العواصف والأَمواج .. مازال الجو مُمْتِعاً ، ونحتمِى بالأَرض .. ونَرسُو عليها بين الحين والآخر لكى نتزوَّدَ بالماء والطَّعَام ..



٢٢ نوفمبر :

كان رائِعًا أننا وصلنا إلى رأْس الرجاء الصَّالح .. إنها مُفاجأة عظيمة .. سوف ندور حول هذا « الرَّأْسِ » ونتّجِه إلى شَرْقِىِّ أَفريقيا .. إذا حدث هَذا فلن نحتاج إلى المرور فى البحر الأَحمر لكىْ نَصِلَ إلى الهند والشرق الأقصى . إنّنا بذلك نفلِتُ من قراصِنته ، ولا ندفع رسوم المرور لسلاطِين مصر ..





٣١ ديسمبر :

فى يوم عيد الميلاد ، رستْ سُفننا على شَطِّ إقلِيمٍ ، لا نعرف له اسمًا .. أَطلقنا عليه « نَاتَال » – معناها بالبُرْتُغاليّة : الميلاد – وقد أَقمْنَا احْتِفَالَنَا بالعيد فى هذا الإقليم ، ثم غادرناه وقد اشتدّ البرد .

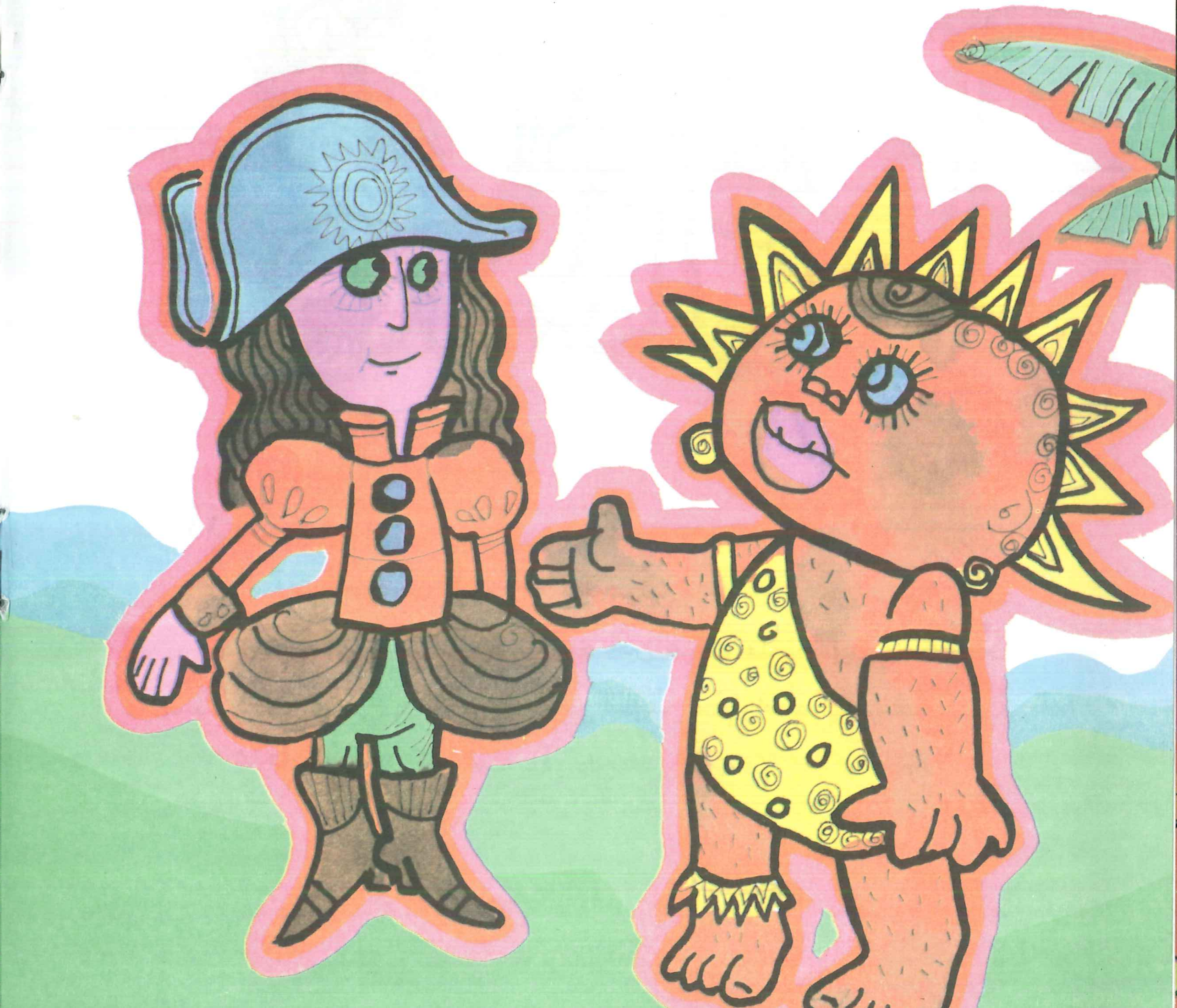


١٧ يناير ١٦٤٨ :

اشتَدّتِ العواصفُ إلى درجة لم تَحْتَمِلْهَا واحدة من سفننا .. كانَ اسمها « بُرْيُو » .. كُنَّا شمال « نَاتَال » حين غرقت هذه السفِينة ، وقد نجحنا فى نقل بحّارتها معنا على السَّفِينتَيْنِ الباقِيَتيْنِ ، ثم واصلْنا السفر شمالاً نَقْصِدُ مملكِة كَامْبيَا « كينيا » .

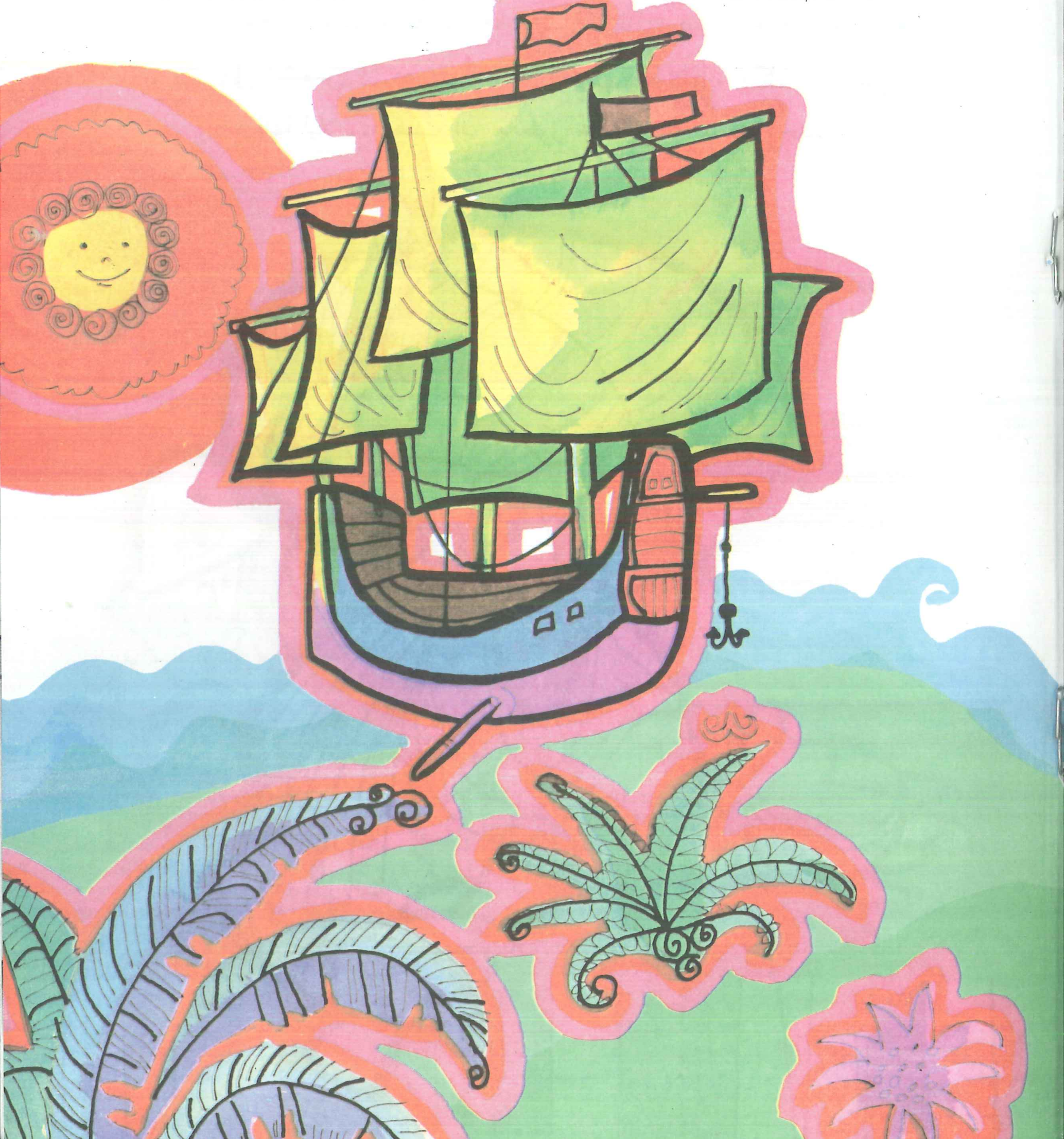
٢٥ مارس :

وصلنا إلى ثغر « مالِيْندى » فى مملكة « كَامْبِيَا » ، على خط عرض ٣ جنوب خط الاستواء .. عقدتُ صداقة وطيدة بينى وبين ملك « مالينِدى » بعد أن قَدَّمْتُ له بعض الهدايا .. كنتُ أُريد أن أَجمع بعض المعلومات عن الطريق إلى الهند .. لم يكن من السّهل علينا أن نَصِلَ إليها بِدُون مُرشِدٍ ، لأَنه لابد أَن نَمْضِىَ بعيدًا عن السَّاحِل .. وعدنى الملك بِبَحَّار يُسَاعِدُنى ..



٢٢ أبريـــل :

تباطَأَ الملكُ فى إرسالِ البَحَّار .. شعرتُ أَنه يريد لِرحلتى أَن تفشل .. جاءَنى أَحدُ أَقارِبه ، لِيزور السفينة ، فما كان مِنى إلا أَن احتَجَزْتُهُ رَهِينةً . هَدَّدْتُ بأَخْذِهِ معى والإبحَار بالسفينتَيْنِ إذا لم يَبْعَثْ إلينا بالرُّبان العَرَبِىِّ المسلم الذى وعدنى به ..



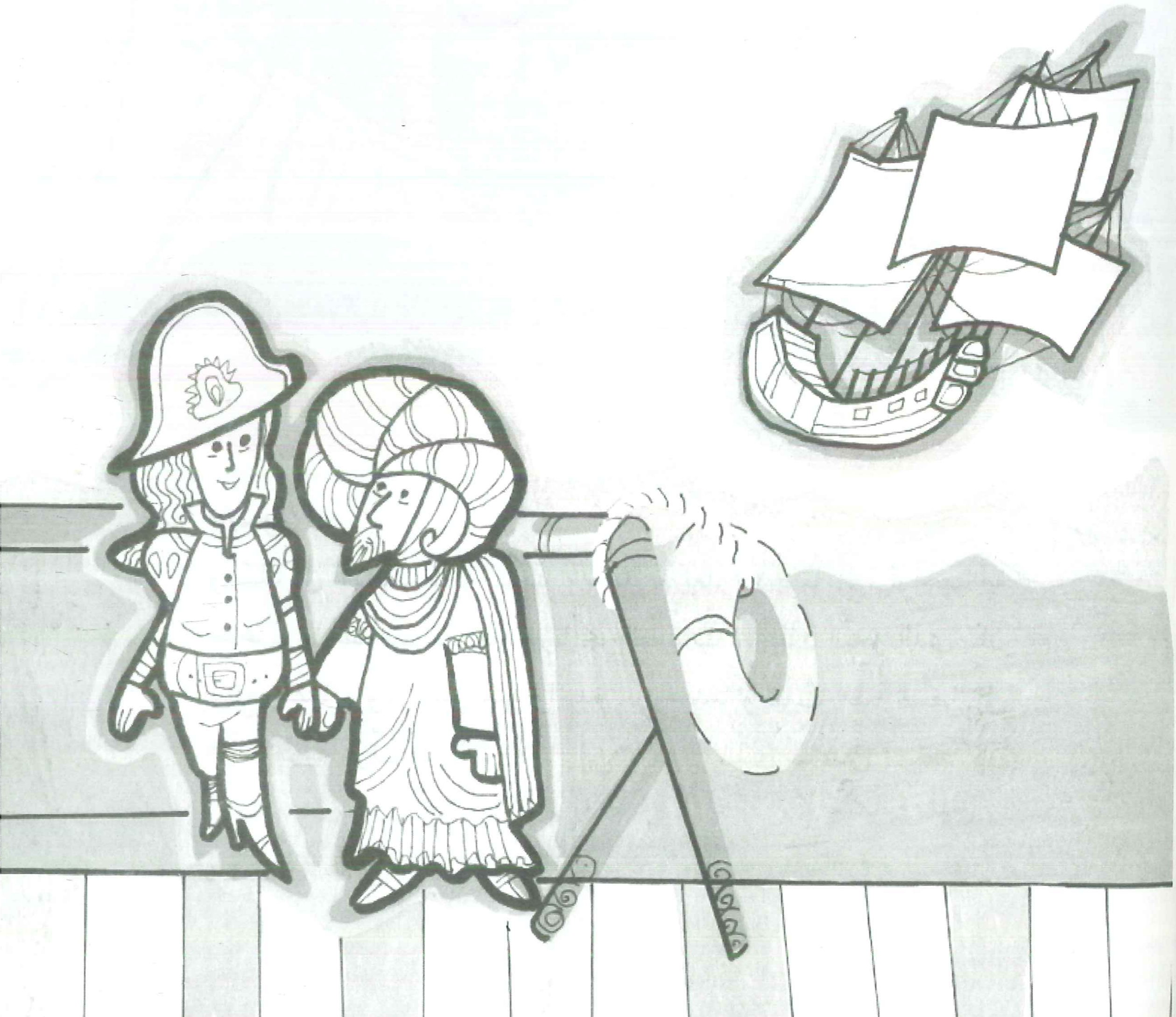
٢٣ أبريـــل :

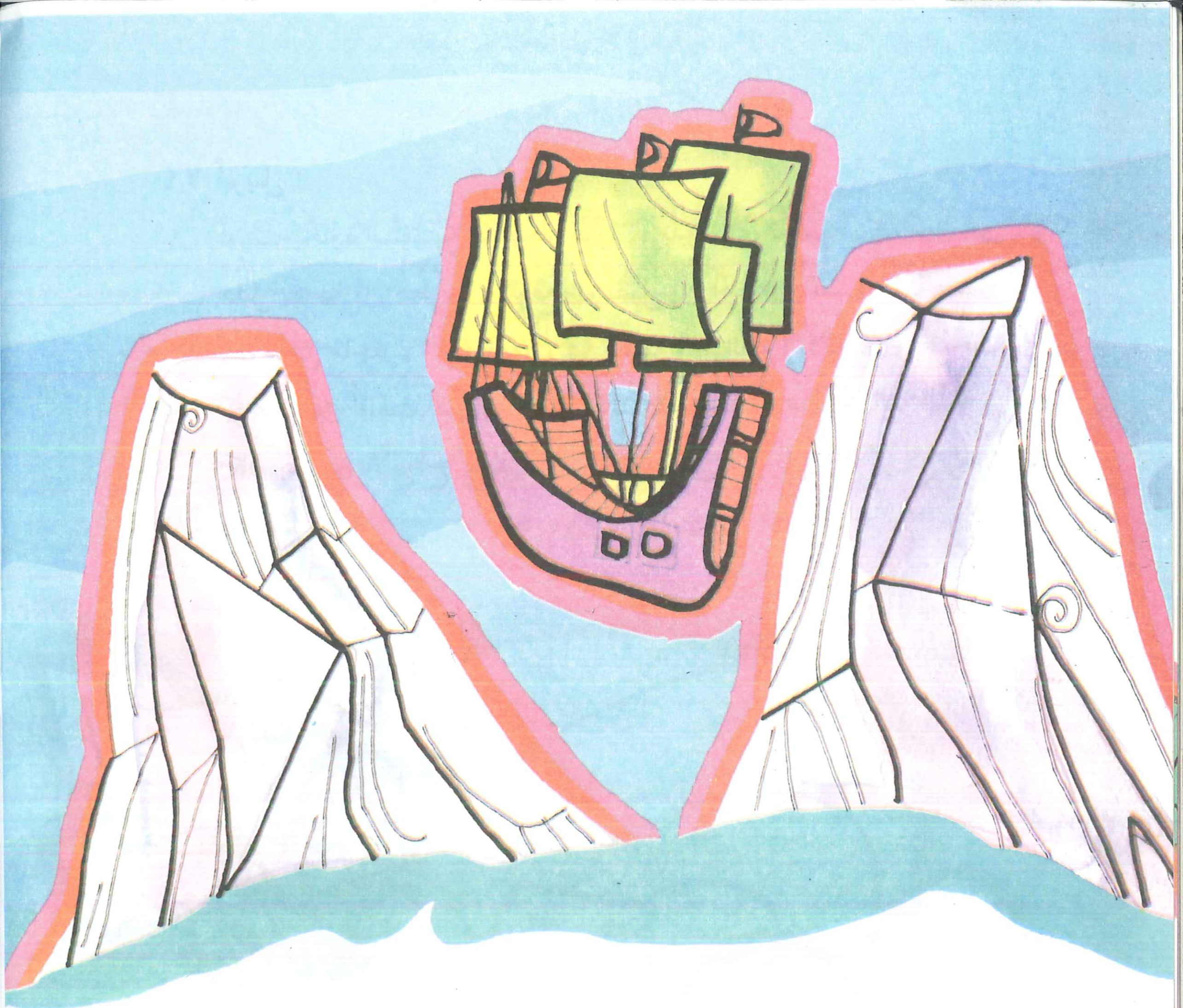
نجحنا فى تَهْدِيدنا للملك .. فقد أَرسل إلينا بسرعة يعتذِرُ عن تأَخُّرِه .. وبعث إلينا بالأَمِيرَال « أَحمَد بن مَاجد » .. أَدهشنى هذا الرُّبَّان العربى الرائع بمعلوماته عن البحار ، وأطلعنى على خرائط مذهلة ، كما أنه كان يستخدِم آلاتٍ عربيَّةً مُتَقَدِّمَةً ، يستعملُها فى رَصْدِ النجوم .. وكُنَّا نعتمد على الشمس في معرفة خُطوطِ الطُّولِ والعرض ، وكان يستحيلُ علينا معرفَتُهَا ليلاً .. أَيْقَنتُ أَنِّى بالعثور على ابن ماجِد قد وجدت كنزًا ..



٢٤ أبريل :

أمرتُ بَحَّارَةَ السَّفِينَتَيْنِ بالإبحَارِ فورًا .. بِدُون أَىِّ تأخيرٍ .. إن معنا خير دليل يَهْدِينا إلى الطَّريق ، أَتوقَّع أَن نصِلَ إلى الهند فى أَقْصر وقت بِفَضْل خِبرة ابن ماجد ، التى ظهرت فى حديثه وخرائطه وآلاتِه .. وَوضَحَتْ بَراعَتُهُ حين أَقلعَتِ السَّفِينَتانِ ، إذ كانَتْ تعليماتُهُ وإرشاداتُه بالِغَةَ الدِّقَّةِ.. كان يتفَادَى الأَمْوَاج بِمهارة حينَ يبتَعِدُ عن السَّاحِلِ ، ثم يرجع إليه ، وهكذا ..





١٨ مايـــو :

وَصَلْنَا إلى كَوالِيكُوت (كَلْكَتَّا) بالهند .. بعد ٢٢ يوماً .. لم تُواجهنا أية متاعب أو مصاعب .. لقد عبرنا بحر الظُّلُماتِ .. ذلك البحر الذى كان يبْتَلِعُ سُفُنَنا ، ولا تنجو منها واحدة .. وعندما وصَلَتْ هذه السُّفُن إلى المياه الهندية عَرَفْتُ قيمة الربان – ابن ماجدٍ – الذى ساعدنى .. لقد كان



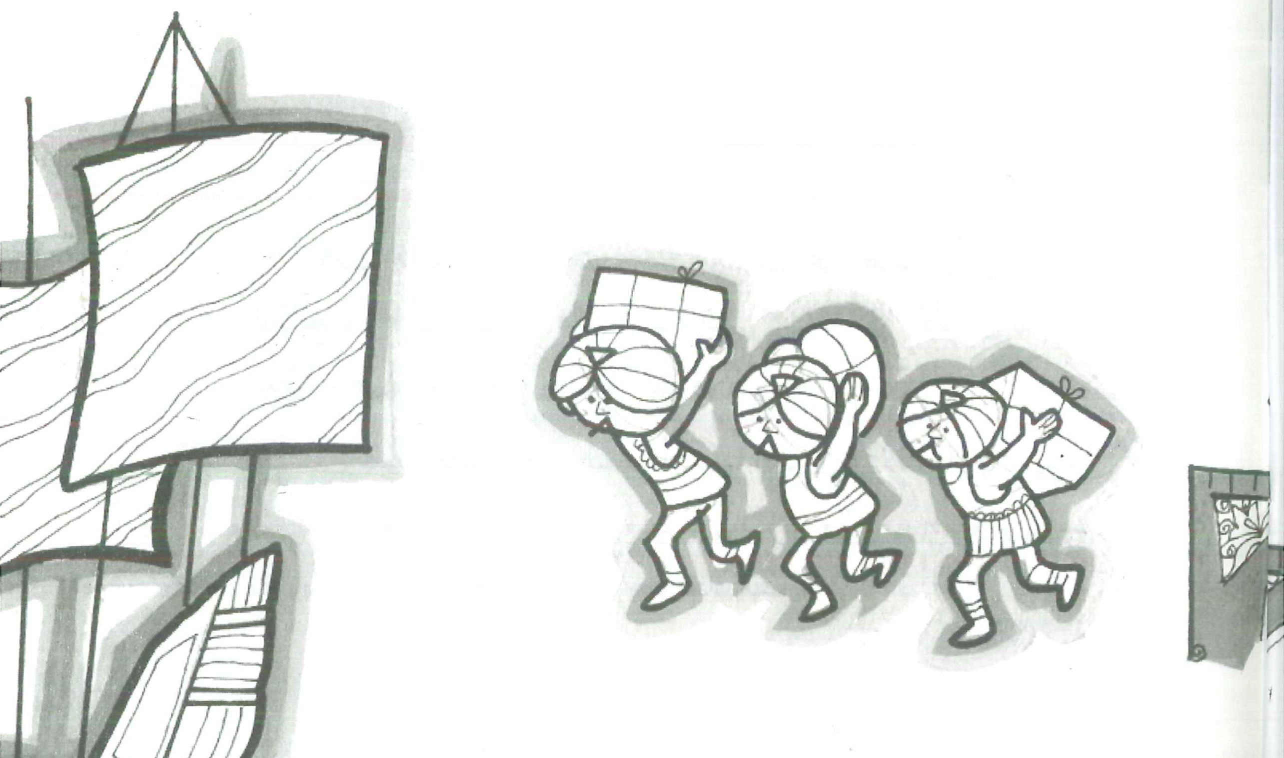
شهيراً ومعروفاً لكُلِّ رجالِ البحر .. وكان اسمه على كلِّ لسان .. كمْ أنا مَدِين بالكثير لابن ماجد ، ومعجب بصفاته .. إنه رجل رائِعٌ ، مُهَذَّبٌ ، طَيِّبٌ ، فى الستين من عمره ، يُؤَدِّى الصَّلَوات الخمس فى أوقاتها ، وقال لِى : إنَّهُ حَجَّ إلى بيت الله الحرَام فى مَكّةَ ..

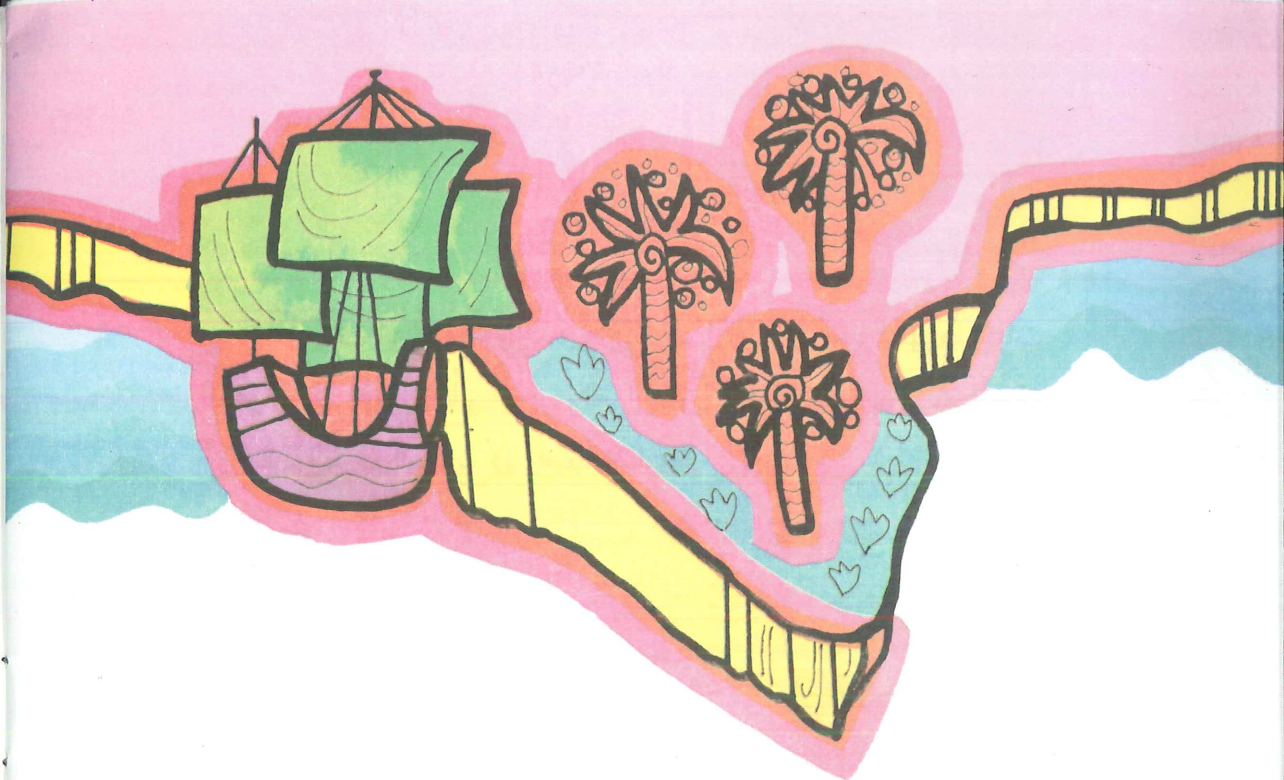
١٩ مايـــو :

بَعَثْتُ أحد أعوانى مع ابن ماجد لمُقابَلة رجال الجمارك ، لِيُعْلِنَا لهم عن مَجيئِنا ، وقد قضينا الليلة عند صديقٍ لابن ماجد يُدْعَى أَبَا سعيد .. ولم يَفُتْنَا أَنْ نأخذَ بعضَ المخْطُوطَات والآلات العربية - خصوصاً البُوصْلَة البَحريَّة - وبعثنا بها إلى الملك « مانْدِيل » مِلِك البرتُغَال .. إنّها آلاتٌ تكشِفُ أن العربَ مُتقدمون علينا كثيرًا فى عُلُومِ البِحَارِ ..



فَقَدْ أَلَّفَ ابن ماجد وَحْدَهُ ثَلَاثين كِتَابًا فى البحريَّة ، أشهرها كتاب «الفوائد فى أُصُولِ عِلْمِ البحر والقواعد».. تناول فِيهِ أصول المِلَاحَةِ، ووصف الطُّرُق البحرية فى المحيط الهندى .





كانت هذه هى يوميات رحلة الكشف عن طريق رأس الرَّجاءِ الصَّالِحِ ، وطريق الهند .. هذه الرِّحلة التى كان لها أكبر الأثَرِ فى التجارة العالميّة وتحوُّلها عن مصر ومنطقة الشرق الأوسط .

.. وبذلك فقدت هذه المنطقة أهَمِّيَّتَها الكُبرى فى ذلك الوقت ، بَعد أن كانت الطريق الوحيد للتِّجارة ما بين الشرق والغرب – ما بين آسيا وأوربا – ولم تسترجعهُ إلا بعد حفر قناة السُّوَيْس .